أدب السجون: أين اختفى هذا النوع من الأدب؟

أدب السجون هو الأدب الإنساني النضالي الذي ولد في عتمة وظلام الأقبية والزنازين وخلف القضبان الحديدية، وخرج من رحم الوجع اليومي والمعاناة النفسية والقهر الذاتي، والمعبّر عن مرارة التعذيب وآلام التنكيل وهموم الأسير وتوقه لنور الحرية وخيوط الشمس.

وإبداعات أدب السجون فريدة الملمح، تشرف من مخزون قلم هو مزيج نفثات وخطرات وآهات، مجبولة بترنيمات عوالم الروح الغارقة في التأمل وبمفردات التجربة المريرة..

هكذا يوصف بعض النقاد والمحللين ماهية الأعمال الروائية التي كتبها مثقفون كثر، يوماً ما، بينما كانوا يقبعون خلف قضبان السجن، إذ سجلوا فيها ومعها، أروع نماذج تجاربهم، ومن بينهم صنع الله إبراهيم، الذي قال في أحد حواراته، إنه غير نادم على الفترة التي قضاها في السجن، بل يرى أنه مدين إليها كونها أتاحت له القدرة على التفكير بصفاء، ومراقبة البشر والتعرف إلى سلوكهم.. فهل حقاً، يُمكن القول إن تجربة السجن لدى الكاتب، نبع خصب، كونه يستفيد من زخمها، وينجح في ترويضها وتشكيلها؟

لا يتردد روائيون كثر، عايشوا واختبروا تجربة السجن، في التأكيد ضمن أحاديثهم، على أنهم يحنون إلى ذكرى فترة السنوات التي قضوها في السجن، ونجدهم يروون سيراً وحكايات لا تنتهي، عن دورها في صقل مستوى خبراتهم، ومدهم بأدوات ومهارات الرواية المتقنة، المحاكية روح الواقع، وكذا النضج من عمق الوجدان الإنساني.

وفي السبعينيات من القرن العشرين كان يصعب تعميدك ككاتب مبدع إن لم تقرأ المجلدات السميكة والكتب ذات القطع المتوسط والصغير التي كانت لها علاقة حبرية صميمية بأدب السجون والمعتقلات، وكان يبدو من العيب على أي مثقف يضع نفسه في مصاف الكتاب الطليعيين، ألا يعرف شاعر تركيا العظيم ناظم حكمت وحبيبة أسره (منور) التي انتظرته لمدة تزيد على الـ30 عاماً.

وكان من الصعب أيضاً على القارئ الذي يتسم بالمواطبة، ولديه السجل الكامل بالمعتقلين المناضلين من كتاب العالم ألا يمتلك القدرة على المواظبة في تتبع أخبارهم، إذ إنه من العيب عليك وأنت المتابع لكل القضايا التي ترتج لوقعها الثقافة العالمية، ألا تتبع النفي الذي عاشه شاعر إسبانيا العظيم (روفائيل البرتي) الذي عاش منفياً عن وطنه إسبانيا لمدة تزيد على الـ(39) عاماً، وألا تعرف المعاناة التي عاشها شاعر تشيلي العظيم بابلو نيرودا، وألا تكون قد قرأت كتابه ذائع الصيت آنذاك (أعترف بأني قد عشت).

ويقول الكاتب خليل قنديل: الأمر ذاته كان ينطبق على الكتاب الأمثل عن أدب السجون الذي كتبه الروائي الروسي دوستفيسكي والموسوم بـ(مذكرات من بيت الموتى)، والذي يتحدث عن عذاب المعتقلين الروس في منطقة سيبيريا.

أما بخصوص الكتابات الإبداعية العربية فجميع جيلي السبعيني يذكر رواية (الكرنك) التي كتبها صاحب (نوبل) الروائي نجيب

محفوظ، وتلك الضجة التي أحدثتها تلك الرواية في مجال أدب السجون والمعتقلات، وجميع أفراد جيلي من المواطنين على مثل هذا النوع من القراءات لا يزالون يذكرون ارتعاشة أيدينا ونحن نهرب رواية (شرق المتوسط) للروائي الراحل عبد الرحمن منيف، ونحن نرتعش خوفاً على بطلها رجب الذي ذاق الأمرين في السجون والمعتقلات السياسية العربية.

وأنا مازلت أذكر الرواية الوثائقية التي كتبها الكاتب الفلسطيني توفيق فياض وحملت عنوان (المجموعة 778)، وهي ترصد اعتقال خلية فلسطينية مناضلة بتوثيقية مُدهشة، وكان قد كتبها فياض على ورق السجائر وحينما أفرج عنه إثر المعاهدة المصرية الإسرائيلية قام بطباعتها ونشرها.

وجميعنا كنّا نقف خلف الشاعر الفلسطيني المقاوم وهو يهجو عدوه بالكتابات التي كانت قادرة على تحريك مظاهرات.

وعرف الأدب العربي على مر العصور والحقب التاريخية المختلفة أدب الأسر وتجربة الاعتقال، فمثلاً أبو فراس الحمداني الشاعر والفارس، الذي لا يهاب الموت، كتب في السجن أروع قصائده (الروميات) في الأسر، لنسمعه يقول في قصيدته الشهيرة (أراك عصي الدمع):

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر

أما للهوى نهي عليك ولا أمر

نعم أنا مشتاق وعندي لوعة

ولكن مثلي لا يذاع لـه سـر

إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى

وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر

في حين نجد المعتمد بن عباد، ملك أشبيلية والشاعر المجيد الذي كان يعشق الأدب، قد صور عذابه وألمه وتجربته في السجن، بلغة شاعرية مؤثرة، وصور فنية غنية، ودلالات عميقة المعنى، وأسلوب شفاف وواضح، ومن أشعاره التي أثارت غرائزنا ومشاعرنا، ولامست أحاسيسنا وشغاف قلوبنا، ما كتبه وهو في سجن(أغمات) التونسي .. حيث قال:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا

فجاءك العيد في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعة

يغزلن للناس ما يملك قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة

أبصارهـن حسيرات مكاسيرا

يطأن في التراب والأقدام حافية

كأنها لم تطأ مسكاً وكافـــورا

يقول الباحث شاكر فريد حسن: أما في الحالة العربية المعاصرة فثمة الكثير مما كتبه المبدعون العرب، الذي أمضوا الأيام الخوالي والليالي المتعبة في السجون، وخاضوا التجربة القاسية في سجون وزنازين الأنظمة العربية القمعية الاستبدادية، التي بدأت بالتساقط والانهيار الواحدة تلو الأخرى، ومن أبرز الذين مروا بتجربة الاعتقال، الروائي والمثقف المصري صنع الله إبراهيم، الذي ينتمي لجيل الستينيات، ونزيل السجون المصرية، الذي كتب عن هذه التجربة المرّة في روايته (تلك الرائحة). وفي السجن تعلم المعنى الحقيقي للعدالة والتقدم وحب الوطن، وأنه يعتبر السنوات التي قضاها خلف القضبان هي التي صنعت منه روائياً متميزاً، وقد قال مرة في لقاء صحفي أُجري معه:»إني غير نادم على الفترة التي قضيتها في السجن، وأرى إني مدين لها بالكثير، فهي التي أتاحت لي فرصة مراقبة البشر والتعرف على سلوكهم وعلى عوالم ثرية وشخصيات مهمة ووفية، لم أكن لأتعرف عليها وأنا خارج السجن، وأضاف قائلاً:»لو عاد الزمن إلى الوراء وخيرت سأختار خوض تجربة السجن مرّة ثانية دون تردد رغم الفترة التي قضيتها «.

ويقول: في أدبنا الفلسطيني المقيم في هذا الجزء النابض من الوطن الفلسطيني (داخل حدود 48) فقد كان للدور الثقافي الذي لعبه شعراء وأدباء المقاومة في تنمية وتأصيل الوعي الثوري المقاتل وتعميق الشعور القومي، المناهض للسياسة القهرية والاضطهادية السلطوية، وصيانة الهوية الفلسطينية، سبباً في اعتقال هؤلاء الشعراء والمبدعين المناضلين والمكافحين في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، والذين كانوا ينتمون للحزب الشيوعي، ويؤمنون بفكره الإيديولوجي الطبقي، وينشرون إبداعاتهم في صحفه ومجلاته وأدبياته :(الاتحاد) و(الجديد) و(الغد)، فها هو الشاعر الراحل محمود درويش يكتب من داخل زنزانته قصيدة (آخر الليل) التي يقول فيها:

وطني

يعلمني حديد سلاسلي

عنف النور

ورقة المتفائل

ما كنت أعرف تحت جلودنا

ميلاد عاصفة

وعرس جداول

سدوا علي النور في زنزانة

فتوهجت في القلب

شمس جداول

بينما الشاعر سميح القاسم فيكتب قصيدته (رسالة المعتقل)، التي تنطوي على تحد واضح للسجان، وتفاؤل ثوري عميق بدنو النهار :

أومن يا أماه

أومن أن روعة الحياة

تولد في معتقلي

أومن أن زائري الأخير .. لن يكون

خفاش ليل .. مدلجاً بلا عيون

لا بد أن يزورني النهار

ومن الأعمال الأدبية التي صورت التجربة الاعتقالية كتاب المناضلة والناقدة والكاتبة المصرية التقدمية فريدة النقاش (السجن، الوطن) الذي تحكي فيه عن فترة الأسر الممزوجة والمضمخة بالألم والقهر الإنساني والتطلع إلى الآتي،وكذلك رواية (شرق المتوسط) لعبد الرحمن منيف، ورواية (تلك العتمة الباهرة) للطاهر بن جلون، ورواية (القلعة الخامسة) لفاضل الغزاوي، وسيرة شريف حتاتة (العين الزجاجية) وغيرها الكثير.

وفي السبعينيات افتتح إبراهيم صموئيل أدب السجون الحديث في سوريا، بمجموعاته

القصصية الثلاث، (رائحة الخطو الثقيل)، و(التحنحات) و(الوعر الأزرق). كان صموئيل يؤرخ فيها لتجربة حقيقية وعميقة، لكن بلغة رفيعة وبحساسية خلاّق، الأمر الذي جعل تلك القصص بمثابة مانيفست عن السجون السورية، لا تزال الأيدي تتداوله حتى اليوم.

وافتتحت هبة دباغ تاريخاً آخر حين أصدرت كتابها (خمس دقائق فحسب: تسع سنوات في سجون سوريا) في لندن. ويبدو أنها كتبته قبل ذلك بأكثر من عشر سنين. وإلى الآن كانت كتابات السجون في مجملها بأقلام معتقلين يساريين. وكتاب هبة الدباغ هو الأول لصدره معتقلة (إخوانية) عن تجربتها، بعدما أصدر محمد سليم حماد، وهو شاب أردني سجن في سوريا، كتابه (تدمر... شاهد مشهود) عام 1998. وتقدم الكاتبة هبة دباغ وثيقة صادمة لم يتم فضحها من قبل.

وفي 2005 صدر للمغربي محمد الرحوي كتاب يحكي عن تجربة تسع سنوات من الاختطاف في مدافن (الكومبليكس) بالرباط وأكنز وسكورة وقلعة مكونة خلال السبعينيات والثمانينيات دون محاكمة، ويلقي الكتاب على جزء مظلم من تاريخ المغرب.

وكتاب (تزمارة 234) وهي سيرة ذاتية من أدب السجون للكاتب المغربي محمد مصدق بنخضرا، يقول صاحب الكتاب إنه اسم مركب من (تزمامرت) و(تمارة). إذ إن تركيب هذا الاسم يرجى منه التنبيه إلى الاستمرارية في منطق سنوات الرصاص. فالمعتقل السري (تزمامرت) عرف بانتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان من تقتيل وتعذيب مورس في حق المواطنين المعارضين لنظام الحكم (حكم الملك الراحل الحسن الثاني) أو المشكوك في أمرهم، الشيء الذي جعل للمغرب صفحة سوداء في تاريخه السياسي والإنساني. وكانت تلك السنوات وصمة عار في جبين المغرب العريق.

هزيمة السجان

تعرضت نخبة من الكتاب والمفكرين والأدباء، إلى ألوان القهر والظلم، من خلال السجن، سعياً إلى كسر حدة أقلامها وتأطير رؤاها، ومنعها من التعبير عن الوجدان المجتمعي بجرأة وشفافية، ومن بين أبرز الأسماء في هذا الصدد: صنع الله إبراهيم، جمال الغيطاني، مصطفى أمين، عبد الرحمن الأبنودي، إذ ذاق هؤلاء مرارات الاعتقال والحبس.

لكنهم انتصروا، في النهاية، على سجانهم عبر تحويلهم تلك المواقع خلف القضبان، إلى مرتع فكر وتأمل، بل وولادة ثرية للمكونات، تحصن تجربتهم الإبداعية، فتهزم توظيفة القهر وانكبت، لتحول الظلام فضاءات نور توقد جذوتها بقوة، فتشع كاشفة غوامض وخبايا الحياة خارج السجن، معززين إيمانهم، خلالها، بقدرة الكلمة الحرة على مواجهة الظلم، والتصدي لطغيان الحاكم المستبد.

(عريان بين الذئاب)

تحكي الأديبة سلوى بكر، عن رأيها في شأن سمات وتاريخ (أدب السجون)، مبينة أنه ظاهرة أدبية قديمة، إذ إن وجود القهر الإنساني والاستعباد، دائماً ما كانا السبب في وجود هذا النوع من الأدب. وتشير سلوى إلى أن أول من كتب عن أدب السجون في مصر، هو محمد شكري الخرباوي، وقدم كتابا بعنوان: (55 يوماً في مخبأ).

سلوى بكر

وتضيف: «إن من أبرز الكتاب الذين مروا بهذه التجربة، أيضاً، الروائي صنع الله إبراهيم الذي عبّر عن تجربة سجنه، من خلال رواية (تلك الرائحة).. كما أن الأديب الراحل عباس محمود العقاد، تعرض للسجن، بتهمة سب الذات الإلهية. ونجد أن بعض المناضلين، وليس الكتّاب فقط، خلقت فيهم تجربة السجن، الرغبة في الإمساك بالقلم؛ لتسجيل التجربة التي مرّوا بها، ومن بين هؤلاء فخري لبيب، الذي عبّر عن سجنه، من خلال كتاب (عريان بين الذئاب).

وتستعرض سلوى بكر، قيمة أدب السجون، لافتة إلى أنه يسجل معاناة الإنسان في زمن ما، ودلخل السياق التاريخي الخاص بهذا الزمن، حتى لا ننسى، وموضحة أنه أدب يمثل ظاهرة في مجتمعاتنا العربية، تتعلق بالقمع السياسي، وواصفة هذا الأدب بأنه أدب مؤلم ويضغط على الروح، كما تتحدث عن تجربة اعتقالها: «تعرّضت للاعتقال مع مجموعة من المثقفين والصحافيين، بتهمة محاولة قلب نظام الحكم، وتحريض العمال على الإضراب، خلال حكم الرئيس المخلوع محمد حسني مبارك..

وعلى الرغم من أن تجربة اعتقالي لم تستمر سوى 15 يوماً، قضيتها في سجن القناطر، فإنها كانت غنية، إذ التقيت بالسجينات ووجدتهن في صورة وهيئة سببت لي صدمة بالغة؛ إذ رأيت جانباً لم أشاهده من قبل، في المجتمع المصري، باعتباره بعيداً عن الأضواء، ولا يُرى في الحياة اليومية العادية، وهو ما دفعني إلى الكتابة عن المسجونات كضحايا، وعن أشكال التمييز الموجودة في المجتمع، فكانت كتابة أدبية بعيدة عن السجن السياسي، كما كتبت أيضاً رواية لتبيّان حقيقة أن القمع السياسي لا يستجيب من الوهلة الأولى».

حكاية ثلاثة مقالات

يؤكد الكاتب صلاح عيسى أن أدب السجون، نموذج لأصدق الكتابات التي يكتبها صاحبها، فهو ناتج عن معاناة حقيقية، يحياها مؤلفها ولا يستطيع أن يعبّر عنها، إلا من خلال الورقة والقلم، ليصوّر معاناته داخل السجن.

ويروي عيسى حكايته مع أدب السجون فيقول: «في عام 1966، نشرت ثلاث مقالات في إحدى المجلات اللبنانية، تحت عنوان (ثورة 23 يوليو بين المسير والمصير)، وبعدها أمر الرئيس جمال عبد الناصر، باعتقالي، بتهمة الإساءة إلى الثورة ولشخصه، ووضع العيب في النظام الاشتراكي.

وذلك رغم أن قصدي لم يكن أبداً الإساءة إلى الثورة أو إلى شخص الرئيس الراحل، بل كان لتوضيح الوضع السياسي غير الديموقراطي، الذي كانت تعانيه مصر.. وأود أن أشير هنا، إلى

أنني، وفي الفترة نفسها، كنت منضوياً في إطار تنظيم سياسي سري».

ويتابع عيسى، سارداً ملامح وجوانب ما مر به، أثناء تلك الفترة: «نقلت إلى سجن الاستجواب

صلاح عيسى

الموجود في سجن القلعة، والذي تنفصل فيه كل علاقة للإنسان بالعالم الخارجي، فلا صحف ولا مذياع ولا أهل أو أصدقاء، وبقيت على تلك الحال، حتى نقلت إلى سجن طرة، فبدأ يحدث الاختلاط بيني وبين المساجين اليساريين والإسلاميين..

وكان الحصول على الكتب، من ضمن الصعوبات التي نواجهنا؛ ذلك بفعل تشديد إدارة السجن على عدم دخول أي أوراق أو كتب إلى المساجين، وكان الحل الوحيد أمامنا، التحايل على إدارة السجن، بزعم أننا نريد إعادة التقدم إلى امتحانات الشهادة الثانوية العامة، بغرض تحسين المجموع الكلي، وبهذا الإجراء كنا نستطيع إدخال الكتب إلى السجن».

صالونات ثقافية (سجنية)

وعن طبيعة قراءاته، وكيفية إثرائها مخزونه الإبداعي، يقول عيسى: «بدأت أكتب في السجن بعد أن تزودت بقراءات مهمة لكتب تاريخية وسياسية متنوعة، وكنا اعتدنا، نحن السجناء، إقامة فعاليات صالونات ثقافية في السجن، واستمرت هذه النشاطات، إلى أن خرجت منه.. ولكن سرعان ما عدت إليه، مرة أخرى، بتهمة توزيع المنشورات في التظاهرة الطلابية التي خرجت، احتجاجاً».

وتعبيراً عن الغضب الشعبي لنكسة 1967، فمنها غضب عبد الناصر، وأقسم أنني لن أخرج من السجن طوال الفترة التي يكون فيها على قيد الحياة، فانخذت من القلم والورقة خنجراً لأقتل به الهزيمة، ونشرت 15 مقالاً .. تحت اسم مستعار في جريدة (المساء)، وألفت 72 رواية ومجموعة قصص قصيرة، جمعتها في كتاب (بيان مشترك ضد الزمن)، إلى أن تولى ناصر، وخرجت من السجن متمنياً أن نحيا عصراً ديموقراطياً مختلفاً عن ذي قبل، ولكني وجدت أن الوضع لم يتغير كثيراً في عهد السادات، واعتقلت شهوراً عديدة، إلى أن أتى عهد الرئيس مبارك، فقرّرت التفرغ التام للصحافة والبحث التاريخي».

أصعب المراحل

نصف الكاتبة فريدة النقاش، رئيسة تحرير صحيفة (الأهالي)، فترة اعتقالها، بأنها من أصعب المراحل التي مرّت بها في حياتها، ففي الوقت نفسه، كان زوجها رهن الاعتقال، وتوفي أخوها أثناء اعتقالها، مؤكدة أنه لم يهوّن عليها الأمر، إلا إيمانها بالإصلاح الذي كانت تسعى إليه، مشيرة إلى أنه في المرة الأولى التي سُجنت فيها، كان معها 24 امرأة، ومن بينهن الكاتبات: نوال السعداوي ولطيفة الزيات وأمينة رشيد.

فريدة النقاش

وتلفت فريدة إلى أنه، ولكثرة اعتقالها، كانت حقيبة السجن لديها، جاهزة دائماً، إلا أنها، ورغم هذا، لم تنقطع عن القراءة طوال فترات الاعتقال، وخاصة قراءاتها العميقة في مجال التاريخ المصري والسياسي عموماً، وتختار هنا الإشارة إلى تجربة محددة في ما تعرضت إليه من اعتقالات، إذ إنها سجنت عقب قرارات سبتمبر الأسود، ووضعت في عنبر يطلق عليه اسم (عنبر الجرب)، فتعرفت فيه على صوت الفنانة عزة بلبع، والتي كانت تغني مع الشيخ إمام عيسى، ثم اعتادت، حينها، هي وزميلاتها، على تنظيم برنامج ثقافي، يشارك الجميع فيه، فيجري النقاش عبره، حول كتاب أو موقف ما.

وتتابع: «أردت تخليد هذه الذكرى وتلك التجربة، فألفت كتاب (السجن دمعتان.. ووردة)، كتبت فيه ما أضحكني وما أبكاني».

خيوط الظلام

يتطرق الكاتب التونسي سمير ساسي، إلى تجربة سجنه، على أساس ما أفادته به من إنضاج لخبراته، وصقل لإمكاناته، ويوضح أنه بقي مسجوناً لأكثر من عشر سنوات، بينما كان في مقتبل العمر، وذلك بتهمة الانتماء إلى جمعية غير مصرح لها.

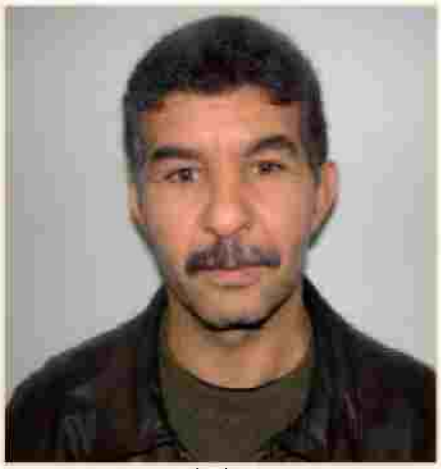
سمير الساسي

ويضيف: «كنت في ذلك الوقت، ضمن الفريق الطلابي التابع لجمعية النهضة.. ونجحت، فعلياً، في الانتصار على السجن، لأنني لم أدعه يهزمني، فحركت جذوة الإبداع في مكنوناتي، وصقلت معارفي وخبراتي، ومن ثم كتبت وأنا في السجن، رواية (خيوط الظلام) التي تفضح السجون التونسية في عهد الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي، حيث وصفت من خلال هذه الرواية، أصناف التعذيب التي تتم ضد المسجونين».

ويبين ساسي، إلى أن فترة التسعينيات من القرن الماضي، شهدت تعرّض الكثير من المثقفين والناشطين التونسيين، إلى السجن السياسي، ويسترسل: «كان أمامي خياران؛ إما الرضا بما يعرضه الجلاد أو الصبر، والصبر أيضاً كان

نوعين، إما السلبي منه أو الإيجابي، فاخترت النوع الثاني.

وهو الصبر الإيجابي الذي قرّرت أن أحوّله إلى صبر جميل وإبداع جمالي، وحاولت أن أعبّر عن تجربة السجن في البداية من خلال الشعر، ولكن لم نستطع القصائد أن تحكي بعمق عن هول ما رأيت، فكان الحل الأمثل عن طريق الرواية، وبذا خرجت (خيوط الظلام)».

ويختم الروائي التونسي مؤكداً على أن هذه التجربة، لا تزال محفورة في وجدانه، ولا يمكن نسيانها، فالإنسان لا يستطيع أن ينسى كرامته التي أهينت، فما كان خلالها، أشياء لا يمكن محوها من الذاكرة، إلا إنها، لا يجب أن تكون عائقاً أمام استمرار الحياة، بل حافزاً على العطاء.

قراءات السجن

يشرح الكاتب صلاح عيسى كيفية إثراء قراءاته في السجن تجربته الإبداعية، ومن ثم النشاطات الفكرية التي كان ينظمها وزملاؤه، ضمن السجن: «بدأت أكتب في السجن بعد أن نزودت بقراءات مهمة لكتب تاريخية وسياسية متنوعة، وكنا اعتدنا، نحن السجناء، إقامة فعاليات صالونات ثقافية في السجن، واستمرت هذه النشاطات، إلى أن خرجت منه».

والسؤال المُربك فعلاً، الذي ينهض كضربة قفاز مؤلم في وجه من يسأله هو: أين اختفى هذا النوع من الأدب الذي كان يفرض نفسه علينا بإجلال خاص يقترب من التقديس؟ وهل المعتقلات السياسية العربية نظيفة إلى الدرجة التي لا تكاد تحصل على عمل إبداعي يرصد عذابات المعتقلين فيها، أم أن الكتابة في هذا النوع من الأدب قد استنفدت أغراضها؟

لكن الإجابة الصحيحة عن هذا الفراغ الذي تركه غياب الكتابة في هذا النوع يقول إن السلطة السياسية العربية كانت قد بدأت تبرم ميثاقاً مع الكتاب العرب منذ مطلع التسعينيات ومع تقوض الاتحاد السوفياتي ونشوء الديموقراطيات العربية الطازجة والانفتاح البرلماني وتشرد الثورة الفلسطينية في أكثر من عاصمة عربية، فهو ميثاق يقوم على علاقة ليبرالية جديدة استطاعت أن تدخل المثقف كحليف للنظام السياسي العربي، وكشريك في معظم القرارات المصيرية.

كل هذا ساعد على تحاشي الاعتقال السياسي مثلما ساعد على طمس الكتابة عن السجون العربية والمعتقل العربي، لكن الأعمى من كل هذا أن السلطة السياسية العربية اكتشفت أنها أرقّ وأعدل بكثير من المثقف العربي حين يتسلط على شقيقه المثقف الآخر.